المحاضرة الأولى :الإحياء الشعري في المشرق العربي (1)

1) تمهيد :

شهد الشعر العربي في المشرق العربي في العصرين المملوكي (1250-1517)و العثماني1517-أوائل القرن ال19م) حالة من الركود و الضعف مست أشكاله و مضامينه ،فكان النتاج الشعري تهيمن عليه موضوعات المديح و الغزل و الهجاء ...وكانت لغته مزخرفة متكلفة يغلب عليها المحسنات البديعية و الصور البيانية المتكلفة ،مع غياب كلي للتجديد و المبادرة الفنية ، وتركز الشعر على المديح الديني و القصائد الفخرية ،و ذلك نتيجة لعوامل كثيرة أهمها حالة الضعف و التخلف العامة التي هيمنت على كل مناحي الحياة السياسية و الاجتماعية و الفكرية ،إضافة إلى أن الحكام في العهدين المملوكي و العثماني لم يكونوا عربا ،و كان معظمهم لا يحسن اللغة العربية فأدى ذلك إلى إهمالهم للشعراء و عدم تحفيزهم .

2)النهضة في المشرق العربي :

كان لحملة نابليون بونابرت على مصر مابين سنتي 1798-1881 برغم مساوئها أثر كبير في نهضة شاملة في مصر ،كونه اصطحب مع حملته مجموعة كبيرة من العلماء ،إضافة إلى المطبعة التي كان الأثر الكبير في انتشار الكتب ،ثم تلاها عهد محمد علي باشا الذي أحدث نهضة علمية و حضارية و عسكرية شاملة في مصر ،فعلى الصعيد الثقافي أسّس مطبعة بولاق عام 1822،و أصدر الجريدة الرسمية الوقائع المصرية ،و أرسل إحدى عشر بعثة علمية إلى أوروبا ،كما تم إنشاء عدد من المعاهد و المدارس أشهرها مدرسة الألسن عام 1836 بتوصية من رفاعة الطهطاوي(1801-1873)،و شجع الترجمة فتمت ترجمة مئات الكتب عن اللغات الأوروبية .

إذن فمن أهم الأسباب الأساسية لظهور النهضة كان الاحتكاك بالثقافة الغربية عبر المطبوعات و البعثات التعليمية و الترجمة ،مما أثّر على الفكر العربي و ساهم في نشوء رؤية

جديدة للأدب و اللغة ،كما لعبت الظروف الاجتماعية و السياسية دورا مهما ،فظهور نخب مثقفة و مطالبة بالإصلاح و الانفتاح على التجارب الجديدة خلق بيئة مناسبة للتجديد الأدبي ،هذا السياق دفع الشعراء و المفكرين إلى البحث عن لغة و أساليب جديدة ،مع المحافظة على التراث العربي و إحياء قيمه الجمالية .

3)جهود البارودي في إحياء الشعر العربي :

أطلق النقاد على البارودي و تلاميذه مصطلح مدرسة الإحياءأو حركة الإحياء ،التي تعني إعادة روح الحياة إلى الشعر و بعثه من جديد ،حيث يعد البارودي و أحمد شوقي من أبرز رواد النهضة الشعرية في المشرق العربي ،لكن البارودي كان له دور مميز في إحياء الشعر العربي و إعادته إلى سابق مجده بعد فترة الركود التي شهدها في العصرين المملوكي و العثماني ،فقد ركز البارودي على تجديد الأسلوب الشعري دون التخلي عن القوالب الكلاسيكية ،فعمل على إعادة بناء الأوزان الشعرية بطريقة أكثر مرونة مع استخدام صور جديدة و مؤثرة قادرة على التعبير عن العصر الحديث ،فقد دمج بين الأصالة و التجديد ،فحافظ على موسيقى الشعر العربي الكلاسيكي ،بينما أدخل على موضوعاته عنصر الحيوية و الواقعية ،و جعلها أقرب إلى فهم الإنسان العربي في عصره.

أما من ناحية المضمون ،فقد اهتم البارودي بتوسيع الموضوعات الشعرية لتشمل الوطن ،الوطنية ،القيم الأخلاقية ،و الهموم الاجتماعية و السياسية و الانتماء الوطني ،كما لم يغفل جانب الغزل بأسلوب شاعري راق.

4)تأثير البارودي على الشعر العربي الحديث:

كان تأثير البارودي على الشعر العربي كبيرا ،إذ فتح الطريق أمام جيل الشعراء اللاحقين مثل مثل أحمد شوقي و حافظ إبراهيم ،ومنحه قاعدة قوية لإدخال التجديد في الشعر مع الحفاظ

على الهوية العربية ،كما ساعدت جهوده في تحويل الشعر من مجرد تقليد جامد للقصائد القديمة إلى فن حي يتفاعل مع المجتمع ،و يعبر عن روح العصر و طموحات الأمة .

ويمكن القول إن البارودي لم يكتف بتقليد الشعر القديم ،بل أسّس لنهضة شعرية حقيقية جعلت الشعر العربي أكثر ثراء في الأسلوب و المضمون و أكثر قدرة على التأثير في المجتمع ،و بذلك أصبح مرجعا أساسيا لكل من سعى لاحقا إلى تطوير الشعر العربي و تجديده.

5-نصوص و تطبيقات :

يقول محمود سامي البارودي بعدما بلغه نعي زوجته وهو في منفاه بجزيرة سرنديب (سريلانكا):

أيــد المـنون قدحت أي زناد و أطرت أيّــة شعلة بفـؤادي

أوهنت عزمي وهو حملة فيلق و حطمت عودي وهو رمح طراد

لا لوعتي تدع الفؤاد و لا يدي تقوى على ردّ الحبيب الغادي

يا دهر فيم فجعتني بحليلة كانت خلاصة عدّتي و عتادي

إن كنت لم ترحم ضناي لبعدها أفلا رحمت من الأسى أولادي

أفـردتــهنّ فلم ينمن توجّعا قرحى العـيون رواجف الأكـباد

يـبكـين مـن وله فراق حـفية كانت لهنّ كثـيرة الإسـعاد

لو كان هذا الدّهر يقبل فدية بالنفس عنك لكنت أول فادي

أو كان يرهب صولة من فاتك لفعلت فعل الحارث بن عباد

هيهات بعدك أن تقرّ جوانحي أسفا لبعدك أو يلين مهادي

فإذا انتهيت فأنت أول ذكرتي وإذا أويت فأنت آخر زادي

الأسئلة :

-حدد الصور الشعرية المستخمة في القصيدة .

-ما نوع الوزن و القافية اللذان وظفهما الشاعر ؟و هل لاحظت أي تجديد في موسيقى القصيدة مقارنة بالشعر الكلاسيكي ؟

-حدد عناصر التجديد الأسلوبي أو الموضوعي التي ميزت نص البارودي عن نصوص الشعر في عصور الضعف.

-ما الانطباع الذي تركه النص في نفسك ؟و هل ترى أنه يعبر عن حيوية الشعر العربي الحديث كما أراد البارودي ؟